



بعد مرور أكثر من عام على انتفاضة الشعب السوري وثورته التاريخية الكبرى التي اندلعت، مواكبة للربيع العربي، في 15 مارس/2011م، بدأت الأمور تتضح بشكل كبير، حيث تميزت الأطراف وأفصحت كل عن وجهه، وأدرك الجميع أنها ثورة من أصعب الثورات التي عرفها العصر الحديث، فالشعب الثائر يقف وحيداً محروماً من السلاح، في مواجهة دكتاتور مستبد دموي.. يشعر بالسعادة كلما ارتوى من دم شعبه.

وإذا كان التاريخ القديم يتذكر "نيرون" الذي أحرق روما وجلس يغنى على أطلالها، فإن ما يفعله المجرم بشار فاق ما فعله "نيرون"، فذاك الروماني ربما انتابته لوثة عقلية.. أما هذا السوري فيقتل الأطفال والشيوخ والنساء ويهدم البيوت على رؤوس الأسر ويحول المدن والقرى إلى خرائب، ثم يسير في موكب من وزرائه ومستشاريه ومساعديه وقادته العسكريين، لكي يتفقد الدمار والخراب ولكي ينتشي بمنظر جثث القتلى، ولكي يعلنها واضحة لمستشاري السوء: هذا الخراب لا يكفيوني.. أريد المزيد والمزيد.

إنها إرادة الله، أن يدفع هؤلاء الأبراء السوريون أرواحهم الطاهرة في هذا الموقف الذي يثير ضيق وغيظ وحنق كل صاحب ضمير وكل صاحب نخوة. لقد اعتقد الثوار في سوريا أن إخوانهم العرب لن يتركوه، فبعد أن يحمي الوطيس وتشتد المعارك ويزيد عدد القتلى، سيتدخل العرب لوقف المجازر ولتحقيق أمنية الشعب السوري في الحرية والعدالة والمساواة والكرامة.

ولكن غاب عن الثوار السوريين أن هذا ليس زمن الرجال، إنه زمن آخر، حيث يتخذ فيه القادة الأميركيان والغربيون القرار نيابة عن العرب، وحيث الجامعة العربية العلية حاصل جمع علـل عديدة بعـد كل دولة عربية على حـدة. وقد فعلت الجامعة العلـية ما تستطيعـ، لأن غالـبية قادتها لا تـهمـهم إلا كـراسـيهـم ولا يـرغـبونـ في إيقـافـ المـجـرمـ عنـ إـجـراـمهـ، فـهـمـ يـكـرهـونـ الـيـوـمـ الـذـيـ اـنـدـلـعـتـ فيـهـ الثـورـاتـ الـعـربـيـةـ. وبالـتـالـيـ فإنـ إـلـقاءـ اللـومـ عـلـىـ الـأـمـيـنـ الـعـامـ لـلـجـامـعـةـ الـعـربـيـةـ خـطـأـ فـارـحـ، فالـقـادـةـ الـعـربـ يـخـاطـبـونـ قـائـلـينـ: إنـ أـنـتـ إـلـاـ موـظـفـ لـدـيـنـاـ تـفـعـلـ مـاـ نـرـيدـ، وـلـاـ مـجـالـ لـكـ لـاتـخـاذـ أـيـ قـرـارـ لـاـ نـرـضـيـ عـنـهـ، وـاعـرـفـ حـجـمـكـ جـيـداـ، وـقـدـ قـالـ بعضـ الـعـربـ مـثـلـ ذـلـكـ لـسـلـفـ.

الدم السوري الطاهر الذي يسيل أنهاراً يهز ضمائر العالم، ولكنه عالم قاس ليس له قلب، إنه عالم المصالح المادية والعلاقات التجارية والصفقات العسكرية. القادة الغربيون يحاولون النوم فلا يستطيعون من شدة تأنيب الضمير، فيقطون وجوهـمـ بالـوسـائـلـ وـيـضـعـونـ أـصـابـعـهـمـ فـيـ آـذـانـهـمـ، كـماـ يـقـولـ الحـقـ تـبـارـكـ وـتـعـالـيـ: {وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا} [نوح: 7]. وتكون النتيجة هي التفاعل الجزئي من الأزمة الكبرى عن طريق الموافقة على وساطة كوفي عنان الأمين العام الأسبق للأمم المتحدة.

الولايات المتحدة والدول الأوروبية لا يريدون دعم الثورة السورية كما دعموا الثورة الليبية، لأن سوريا ليس فيها النفط الليبي الذي يسـيلـ لهـ لـعـابـ الغـربـ. ولـأـنـ بـقـاءـ نـظـامـ الـمـجـرمـ بـشارـ يـرـيحـ إـسـرـائـيلـ تـامـاـ لـأـنـ وـأـبـوهـ لمـ يـطـلـقـ طـلـقـةـ وـاحـدـةـ عـلـيـهـ، وـإـسـرـائـيلـ تـفـرـحـ تـامـاـ بـأـنـ يـدـيرـ خـصـمـهـ الـحـربـ ضـدـهـ فـقـطـ مـنـ خـلـفـ مـيـكـرـوـفـونـاتـ الإـذـاعـاتـ وـكـامـيرـاتـ الفـضـائيـاتـ، وـالـغـربـ يـرـيدـ مـاـ تـرـيدـ رـبـبـتـهـ إـسـرـائـيلـ. ولـأـنـ الـغـربـ لـنـ يـجـلـسـ لـكـيـ يـرـىـ وـيـتـمـتـعـ بـنـجـاحـ الثـورـاتـ الـعـربـيـةـ ثـورـةـ بـعـدـ أـخـرـيـ، وـهـوـ يـعـلـمـ أـنـ هـذـهـ الثـورـاتـ مـعـنـاهـاـ أـنـ الشـعـوبـ الـعـربـيـةـ سـتـحـرـرـ إـرـادـاتـهـاـ وـأـنـ قـرـاراتـهـاـ سـتـخـذـ فـيـ عـوـاصـمـهـ الـعـربـيـةـ لـصـالـحـ أـبـنـائـهـ الـعـربـ. وـلـنـ تـتـخـذـ فـيـ الـعـواـصـمـ الـأـورـوبـيـةـ وـوـاـشـنـطـنـ.

والحلـ الـوـحـيدـ الـذـيـ يـرـاهـ الـغـربـ هوـ الـلـعـبـ بـالـكـلـمـاتـ وـالـتـصـرـيـحـاتـ وـالـدـعـوـةـ إـلـىـ الـحـلـ السـلـمـيـ وـنبـذـ العنـفـ مـنـ جـمـيعـ الـأـطـرافـ، وـإـدانـةـ الـأـفـعـالـ الـعـسـكـرـيـةـ وـالـجـرـائـمـ. لـيـسـ أـكـثـرـ. وـالـحـجـةـ جـاهـزةـ: إـنـاـ فـعـلـنـاـ كـلـ مـاـ نـسـتـطـعـ مـنـ أـجـلـ وـقـفـ العنـفـ، وـلـوـ سـلـحـنـاـ الـمـعـارـضـةـ السـوـرـيـةـ سـتـحـدـثـ مـجاـزـرـ، وـنـحـنـ نـخـافـ عـلـىـ الـدـمـ السـوـرـيـ.

وهـذـهـ حـجـجـ وـاهـيـةـ، فـالـقـوـمـ إـذـاـ خـلـصـتـ نـوـاـيـاهـ فـانـ فـيـ أـيـدـيـهـمـ الـكـثـيرـ الـذـيـ يـمـكـنـهـ أـنـ يـفـعـلـهـ، حـتـىـ لـوـ كـانـ فـعـلـاـ غـيرـ عـسـكـريـ، وـلـوـ أـحـسـتـ رـوـسـيـاـ مـنـهـمـ الصـدـقـ فـيـ النـوـاـيـاـ وـالـقـوـةـ فـيـ الضـغـطـ، فـإـنـاـ سـوـفـ تـغـيـرـ مـوـقـفـهـاـ، فـالـمـوـقـفـ الـرـوـسـيـ لـيـسـ عـقـائـيـاـ وـلـاـ مـبـدـيـاـ وـإـنـمـاـ هوـ مـوـقـفـ يـدـافـعـ عـنـ مـصـالـحـهـ، وـلـوـ عـوـضـ الـغـربـ رـوـسـيـاـ عـمـاـ سـتـفـقـدـهـ جـرـاءـ إـنـهـاءـ دـعـمـهـ لـلـنـظـامـ السـوـرـيـ سـتـغـيرـ مـوـقـفـهـاـ فـورـاـ، وـكـذـلـكـ الـصـينـ.

الـمـوـقـفـ الـأـمـرـيـكـيـ الـغـرـبـيـ أـصـبـحـ مـتـنـاغـمـاـ مـعـ الـمـوـقـفـ الـرـوـسـيـ، فـإـذـاـ كـانـتـ رـوـسـيـاـ وـالـصـينـ قدـ اـسـتـخـدـمـتـاـ حـقـ النـقـضـ فـيـ مـجـلـسـ الـأـمـنـ الـدـولـيـ ضـنـدـ مـشـرـوعـيـ قـرـارـ يـنـدـدـانـ بـالـقـعـمـ الـذـيـ يـمـارـسـهـ النـظـامـ السـوـرـيـ ضـنـدـ الـمـعـارـضـةـ وـالـذـيـ أـوـقـعـ أـكـثـرـ مـنـ عـشـرـةـ آـلـافـ قـتـيلـ مـنـذـ بـدـءـ الـاحـتجـاجـاتـ الـشـعـبـيـةـ قـبـلـ عـامـ بـحـسـبـ الـمـرـصـدـ السـوـرـيـ لـحـقـوقـ الـإـنـسـانـ، فـإـنـهـ بـمـجـرـدـ أـنـ مـارـسـتـ الـدـوـلـ الـغـرـبـيـةـ ضـغـوطـاـ نـسـبـيـةـ، صـوتـتـ مـوـسـكـوـ وـبـكـيـنـ عـلـىـ بـيـانـ رـئـيـسيـ فـيـ مـجـلـسـ الـأـمـنـ يـدـافـعـ وـسـاطـةـ كـوـفـيـ عـنـانـ وـيـطـالـبـ دـمـشـقـ بـتـقـديـمـ اـقتـراحـاتـهـاـ الـتـسـوـيـةـ فـيـ أـسـرـعـ وـقـتـ.. وـهـوـ مـاـ حـدـثـ مـؤـخـراـ وـجـعـلـ دـمـشـقـ تـرـدـ بـالـإـيجـابـ عـلـىـ خـطـةـ كـوـفـيـ عـنـانـ ذاتـ السـتـ نقاطـ.

فالرئيس الأمريكي باراك أوباما يبدي تأييده لتقديم "مساعدة غير عسكرية" للمعارضة السورية، ويتفق ورئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان على ضرورة إرسال مساعدات "غير عسكرية" إلى المعارضة السورية، وعبرت واشنطن عدة مرات عن معارضتها تسليم أسلحة للمعارضين السوريين.

ونحن نقول: إننا نتمنى أن تكمل مهمة كوفي عنان بالنجاح، خاصة بعد أن قبلها نظام المجرم بشار، فخطة عنان المكونة من ست نقاط ترمي إلى إنهاء سفك الدماء في سوريا، وتدعوا إلى وقف القتال تحت رقابة الأمم المتحدة، وتدعوا إلى انسحاب القوات الحكومية من المدن التي تكثر فيها المعارضة، وتدعوا إلى تحسين سبل وصول المساعدات الإنسانية، لكن نجاح الخطة يعتمد على طريقة تنفيذها، لأن لدينا محاولة سابقة لوقف العنف شارك فيها مراقبونتابعون للجامعة العربية فشلت لأن النظام السوري تعامل معها ظاهرياً ولكنها عمد في الواقع على إفشالها، وهو يمكن أن يكرر الأمر نفسه مع مهمة عنان. لذلك؛ فلن ينجح عنان إلا إذا تم دعمه دعماً كاملاً وأميناً في السر والعلن وليس أمام الميكروفونات والكاميرات فقط من الدول الغربية ومن روسيا، وقبل ذلك كله من الدول العربية التي يجب أن تعلم أن بيدها الكثير والكثير لنصرة الثورة السورية التي لم تفعله بعد، وأن عليها أن تتحلى بالصبر والنفس الطويل، شريطة أن تأخذ موقفاً قوياً واضحاً ومبدئياً من إزاحة المجرم الباعثي.

نعلم مسبقاً أن القمة العربية في بغداد ستبحث الموضوع السوري كبند أساسي في إطار القرارات التي صدرت من المجلس الوزاري لجامعة الدول العربية، ولكنها لن تناقش تنحي المجرم بشار، وهذا ما قاله الأمين العام لجامعة الدول العربية نبيل العربي، لكن هل يستشعر القادة العرب مسؤولياتهم في هذه القمة؟ وهل يحرك مشاعرهم دماء عشرة آلاف شهيد سوري يخاصمون هؤلاء الحكماء العرب أمام الله يوم القيمة؟.

إن وزراء الخارجية العرب بمجرد أن دعوا وزير الخارجية الروسي إلى اجتماعاتهم في القاهرة، فسمع منهم وأحس بهم، حدث تغير جزئي في موقفه، هذا التغير يمكن أن نلمسه في الانتقاد الذي وجهه الأمين العام لمجلس التعاون الخليجي، عبد اللطيف الزياني، إلى تصريحات أدلى بها وزير خارجية روسيا، سيرغي لافروف، حول الأزمة السورية، معتبراً أنها غير موفقة، ولا تنسجم وروحية الاتفاق الذي تم التوصل إليه في القاهرة بين موسكو والجامعة العربية من خمس نقاط ويشكل أرضية معقولة للتحرك الدبلوماسي.

تصريحات سيرغي لافروف التي أثارت استياء واستغراب الزياني هي قوله عن إغلاق دول مجلس التعاون الخليجي لسفاراتها في دمشق بأنه يعود إلى "أسباب غير مفهومة". أمين العام لمجلس التعاون الخليجي يرى أن هناك شبه إجماع عالمي على إدانة الجرائم التي يقترفها النظام السوري في حق شعبه، وأن العالم أجمع شهد أن جوهر الأحداث الأليمة في سوريا هو إرادة وطنية للشعب السوري لإقامة نظام سياسي ديمقراطي يحترم حقوق الإنسان، ويケفف المساواة بين المواطنين السوريين كافة، بما يتنافي تماماً مع وضعها في إطار طائفي، وبما لا يتفق على الإطلاق مع التحذير من حكم مقبل لأحد مكونات الشعب السوري على حساب مكوناته الأخرى.

لكن يبدو أن الزياني نسي أن تغييراً مهماً في الموقف الروسي يتطلب جهداً دبلوماسياً عربياً كبيراً، وعلى وجه الخصوص من الدول الخليجية التي يمكنها تعويض روسيا عن علاقاتها الاقتصادية مع سوريا، بالمقابلات المستمرة والضغط العربي الفردي والجماعي سوف يتغير الموقف الروسي تدريجياً. أما بذلك جهد محدود، كمارأينا مع الوزير الروسي، ثم تركه بدون تنميته والإضافة إليه، فإن النتيجة ستكون أن يقول لافروف لإذاعة "كومرسنت" الروسية: "إن هناك مخاوف من قيام عدد من الدول بالمنطقة بممارسة ضغوط من أجل إقامة نظام حكم سني في سوريا في حال سقوط النظام الحالي".

لو خرجت القمة العربية المنعقدة في بغداد بمقررات قوية وبموقف قوي وموحد من الأطراف التي تدعم النظام السوري المجرم في جرائمه ضد الشعب السوري، فإننا سنرى حتماً تغييراً في الموقف الروسي، وإذا كان الرئيس الروسي يحذر (في

موقف إعلامي ليس أكثر) من أن خطة مبعوث الأمم المتحدة والجامعة العربية إلى سوريا كوفي عنان تشكل الفرصة الأخيرة لتجنب حرب أهلية في سوريا، وأنه لهذا يقدم دعماً كاملاً لعنان، وإذا كانت موسكو تنتقد ما تسميه "التأخير الكبير" من الرئيس السوري في تطبيق الإصلاحات وتحذر دمشق من مخاطر تصعيد الأزمة إذا لم يصغ النظام السوري لنصائحها، وإذا كان مصدر في الكرملين يتحدث عن "موقف الأسد الصعب"، فإن الموقف العربي القوي، والتحرك الدبلوماسي العربي، والحديث العربي الصريح عن تقديم البديل لروسيا، بل والضغط العربي على الولايات المتحدة وعلى الأطراف الفاعلة في أوروبا، كل ذلك سيجعل التصريحات الإعلامية تتلخص مع الواقع وتتحرك على الأقل في اتجاه وقف المذبحة وإرغام النظام المجرم على خطة للتغيير السلمي، تحفظ الدماء أولاً، وتوقف آلة القتل والدمير ثانياً، وتجعل مستقبل الشعب السوري في يده ثالثاً، يقرر ما يشاء، وي منتخب ما يشاء، تحت حراسة ورعاية ورقابة دولية، تمنع التزوير والتلاعب.

و قبل أن يحدث ذلك، لا بدّ من استمرار الصمود، ولا بدّ أن تستمر جذوة الثورة مشتعلة، ورغم الظلام الحالك إلا أن بصيص النور بدأ يظهر في تزايد الانشقاقات في الجيش النظامي، وإذا تسارعت الوتيرة فسيصبح الأمر خطراً حقيقةً يعجل بنهاية المجرم، وببدأ الأمل يظهر في توحيد العمل العسكري المعارض، ل توفير أكبر حماية ممكنة للثوار ومدنهم وأحيائهم وقرائهم، كما حدث مؤخراً في الإعلان عن إنشاء مجلس عسكري يهدف إلى توحيد قوى المعارضة المسلحة ويرسم الاستراتيجيات العامة للجيش الحر، تحت رئاسة العميد مصطفى الشيخ والعقيد رياض الأسعد.

المصدر: موقع الإسلام اليوم

المصادر: